# من الاستبطان إلى التحليل النفسى

بقلم

**الدكتور يوسف مراد**

لا تتضح معالم الكائن الحى ولا تتمايز أبنيته ووظائفه ولا يتكامل نشاطه داخل المواقف التى تضمه إلا خلال عملية النمو .

ويمكننا أن نشبه العلوم بالكائنات الحية من حيث أن مميزاتها لا تتضح إلا خلال عملية النمو ، مع مراعاة ما تتضمنه هذه العملية فى إعادة تنظيم القديم داخل النماذج الجديدة التى تتمخض عنها عملية النمو ، خاصة فى المراحل التى تتخذ شكل الأزمات .

ويبدو لنا أن ما سبق أن قلناه (١) عن خصائص النمو فى ضوء عملية التكامل وعن الحركة الدائرية اللولبية « التى تفيد فى نفس الآن عمليتى التقدم والتراجع النسبى الممهد لتقدم جديد » يمكن تطبيقه على دراسة تطور العلوم ونموها . وسنحاول فى هذه المقالة تفسير تطور علم النفس المعاصر فى ضوء عملية التكامل ، وذلك بتتبع ما طرأ من تطور على مناهج البحث فيه .

* * *

إذا ألقينا نظرة سريعة إلى تطور علم النفس فى المائة سنة الماضية فإننا نلاحظ أن تطوّر المناهج كان ملازماً لتطور نظرة الفلاسفة والسيكولوجيين إلى موضوع علم النفس وإلى صلة هذا الموضوع بالمشاكل الفلسفية وخاصة بمشكلة الوصول إلى المعرفة اليقينية . ويميّز المناطقة بين منهجين فى التفكير مؤديين إلى اليقين ، الأول الاستنباط أو القياس كما هو مطبق فى العلوم الرياضية والثانى الحدس وهو ضرب من المعرفة المباشرة ، سواء تناولت هذه المعرفة المحسوسات أو المعقولات . وتمتاز معرفة الشخص لذاته

(١) راجع مجلة علم النفس ، عدد فبراير ١٩٤٦ : المنهج التكاملى وتصنيف الوقائع النفسية من ص ٢٨٦ إلى ٢٩٤ .

عن طريق الشعور بكونها حدسية مباشرة . فإن إحساسى بالألم هو معرفتى بأننى أتألم وعلى ذلك يعرِّف بعضهم الشعور بأنه حدس الشخص لحالاته الذاتية أو حدس الذات لذاتها . ولكن هناك فرقاً بين التعريف الأول والتعريف الثانى . فعندما أقول إن الشعور هو حدس الشخص لحالاته الذاتية فإن إدراكى الداخلى لا ينصب إلا على مضمون تيار الشعور وليس فى إمكانى الشعور أن يدرك ذاته مجرداً عما يتضمنه من حالات ونشاط وعلى ذلك يعرَّف علم النفس بأنه علم الحالات الشعورية . أما عندما أقول إن الذات تدرك ذاتها فإننى أقصد بالذات الجوهر الروحى وعندئذ يكون علم النفس أو السيكولوجيا فرعاً من الميتافيزيقا التى تبحث فى ماهية النفس الإنسانية ولكن معرفتى للنفس فى هذه الحالة لا تكون عن طريق الاستدلال ، بل عن طريق الحدس الميتافيزيقى الذى يدعى النفوذ مباشرة إلى الجواهر .

ويطلق لفظ الاستبطان على هذا الضرب فى المعرفة الحدسية المباشرة . ولكن بينما كان بعض الفلاسفة أمثال فكتور كوزان وجوفروا يعدون الاستبطان الوسيلة الوحيدة لإدراك النفس مباشرة إدراكاً يقينياً ، كان غيرهم ينكرون على الاستبطان هذه القدرة ويحصرونه فى دائرة الحالات النفسية والظواهر الذهنية وهى تتعاقب فى الشعور . ومن المعلوم أن الاستبطان قد استهدف لنقد الفيلسوف أوجست كومت ، صاحب المذهب الوضعى ، وكان كومت محقاً فى نقده لأن نقده كان موجهاً إلى الاستبطان من حيث هو وسيلة لكشف عن طبيعة النفس مباشرة ، أى من حيث هو ضرب من الحدس الميتافيزيقى . فهو يقول فى « دروسه فى الفلسفة الوضعية » : « إن هذه السيكولوجيا الوهمية ... تدعى الوصول إلى الكشف عن قوانين العقل الإنسانى الأساسية ، بمشاهدته فى ذاته ، أى بغض النظر عن العلل والمعلولات »(١)

ولكن نقد أوجست كومت يتجاوز حدود علم النفس الميتافيزيقى وينصب أيضاً على محاولة دراسة الظواهر النفسية . غير أنه يجب أن نشير إلى التمييز الذى أقامه كومت بين الظواهر العقلية كالاستدلال مثلا وبين الظواهر الوجدانية (٢) . وهو يبنى هذا التمييز على أسس فسيولوجية ، مخصصاً مقدم الدماغ للعمليات العقلية والجزء الأوسط للعواطف والجزء المؤخر للنزعات والميول ، كما أنه يقسم مقدم الدماغ إلى قسمين ، قسم يضم مراكز قوى الإدراك والملاحظة وقسم موجود فى أعلى مقدم

(١) ص ٦٢ و ٦٤ A. Comte : Cours de Philosophie Positive. Tome I, 1ère. Leçon; Ed. Garnier.

(٢) المرجع نفسه – ص ٦٥ و ٦٦ .

الفص الجبهى لقوى التفكير والتأمل وهو متأثر فى ذلك بآراء جال واضع العلم المزعوم المعروف بالفرينولوجيا أو علم المراكز الدماغية لقوى النفس التى يبلغ عددها ، حسب هذا المذهب ، سبعاوثلاثين قوةموزعة كالآتى : النزعات ١١ ؛ العواطف ١٢ ؛ الإدراك ١٢ ؛ التفكير ٢ . (١)

وبما أن مقدم الدماغ هو الذى يقوم بالملاحظة والمقارنة ، فنى وسعه أن يلاحظ ما يحدث فى وسط الدماغ ومؤخره ، أى أن يلاحظ الظواهر الوجدانية والنزوعية ؛ ولكنه من المحال عليه أن يلاحظ ما يحدث فى مقدم الدماغ من الظواهر العقلية ، أى أن يلاحظ نفسه ، كما أنه من المحال على العين أن ترى نفسها . فإن مثل هذه الملاحظة تقتضى إزدواج الدماغ بحيث يكون فى آن واحد الملاحظ والملاحظ . يقول كومت : « ليس فى وسع الفرد المفكر أن ينقسم إلى قسمين ، قسم يفكر بينما يقوم القسم الثانى بمشاهدة التفكير . كيف يمكن أن تتم الملاحظة إذ أن العضو الذى يلاحظ والعضو الملاحظ شىء واحد » .

من الواضح أن حجة كومت فى استعماله استبطان العمليات الفكرية مع التسليم بإمكان استبطان الحالات الوجدانية والنزوعية ، تستند إلى أسس تشريحية وفسيولوجية ، ويكفى إقامة البرهان على بطلان هذه الأسس لكى تنهار الحجة . والواقع أن آراء جال التى أخذ بها أوجست كومت لا أساس لها من الصحة مطلقاً . أما فيما يختص بملاحظة الحالات الوجدانية ، يقول كومت إن هذه الملاحظة على الرغم من أنها ممكنة فإنها لا تؤدى إلى نتائج علمية لأن نتائج الملاحظة الداخلية تختلف باختلاف الأفراد .

لا شك فى أن كومت نبّه علماء النفس إلى نقص المنهج الاستبطانى وعجزه عن إنشاء علم النفس على أسس علمية سليمة وله الفضل فى الدعوة إلى استخدام المنهج الموضوعى ، أى منهج الملاحظة الخارجية ، لدراسة العقل وذلك بدراسة النشاط العقلى ممثلا فى آثاره فى مختلف العلوم وآثاره فى تنظيم المجتمع . ومن المعلوم أن كومت فى آخر حياته فى كتابه « مذهب السياسة الوضعية » نبذ آراء جال ونادى بإنشاء علم النفس فى ضوء دراستنا للعوامل الاجتماعية . فإن علم النفس لا يمكن أن يكون إلا علماً نفسياً اجتماعياً فى آن واحد ، بل قد ذهب إلى أبعد من ذلك فيما يختص بمعرفتنا لوظائف الدماغ ، قائلا إن معرفتنا لوظائف الدماغ ليست هى التى تؤدى إلى معرفة

(١) E.G. Boring : A History of Experimental Psychology, 2d ed. p. 55; New York, 1950.

الوظائف العقلية ، بل العكس هو الصحيح ، أى أنه لا يمكن الوصول إلى معرفة الوظائف الدماغية حق المعرفة إلا بعد أن ندرس الوظائف العقلية ونقف على طبيعتها[١]

* * *

ظل منهج الاستبطان عرضة للنقد بعد وفاة أوجست كومت عام ١٨٥٧ ، وخاصة لدى أعضاء المذهب الوضعى أمثال ريبو وبعد أن تشعبت الأبحاث السيكولوجية وتناولت دراسة الحيوانات والأطفال والمصابين بالأمراض العقلية ، وبعد أن أخذ علماء النفس يسلمون بوجود العوامل اللاشعورية . غير أن ريبو نفسه كان يصرح بأن الاستبطان وإن كان منهجاً ناقصاً ونتائجه غير يقينية وغير صالحة للتعميم فلا غنى عنه لكى تبدأ الدراسة السيكولوجية وإن كانت هذه الدراسة لن تتم بالاستبطان وحده .

وقبل أن ننتقل إلى الكلام عن المنهج الموضوعى ، أى منهج الملاحظة الخارجية ، يجب أن نشير إلى الخلط الذى وقع فيه بعض الكتاب فى فهمهم للاستبطان . فقد يستعمل لفظ الاستبطان إما لوصف الحالات الشعورية أو لتعليل هذه الحالات ، فى الحالة الأولى ، يدرك الشخص أنه ضجر مثلا ويحاول وصف الضجر بقدر ما تسمح له اللغة بهذا الوصف ، وكثيراً ما تعجز اللغة فى تأدية المطلوب منها لأنها لم تنشأ فى أول الأمر لوصف الحالات الشعورية بل لمعالجة الأشياء المادية المحسوسة . أما فى الحالة الثانية ، فعلى الشخص أن يعلل حالة الضجر هذه . بإرجاعها إلى عللها وكثيراً ما يكون البحث عن العلل وسيلة لاشعورية لإخفاء العلل الصحيحة وانتحال علل وهمية .

ففى الحالتين ، سواء كان الغرض فى الاستبطان الوصف أو التعليل ، فإن نتائجه لا تصلح لكى نقيم عليها علماً ، بل هى بمثابة مادة خام يجب نقدها وتمحيصها ثم محاولة تعليلها فى ضوء النتائج التى تسفر عنها المناهج الأخرى المستخدمة فى علم النفس .

* * *

(١) ليس فى تغيير كومت لموقفه هذا التغيير الكلى ما يثير الدهشة إذا رجعنا إلى ظروف حياته وتطور شخصيته خاصة من الوجهة الوجدانية . فما لا شك فيه أن كل مذهب فلسفى وما يعتريه من تطور يعبر إلى حد ما عن شخصية الفيلسوف وإن لم يصل هذا التعبير إلى الحد الذى يصل إليه لدى الفنان أو الأديب .

يشار اليوم إلى السيكولوجيا الاستبطانية بأنها سيكولوجيا فى صيغة المتكلم Psychologie en première personne ، أى أنها محصورة فى الذات ولا يمكنها أن تتجاوز حدود الشعور الفردى للوصول إلى معرفة الآخرين وبالتالى إلى معرفة « النحن » كما يقول اوجست كومت . ويجدر بنا أن نذكر هنا نصاً هاماً لصاحب المذهب الوضعى فى مقاله عن الروح الوضعية وهو يتحدث عن الروح الميتافيزيقية ذات الطبيعة الذاتية « التى حصرت نفسها فى دائرة الفرد فعجزت عن أن تدرس النوع دراسة شاملة حقة وذلك بسبب ما يؤدى إليه حتما مبدأها المنطقى الباطل الذى يقوم فى جوهره على الحدس الذى لا يمكن أن يؤدى إلى أى تطبيق جماعى . فإن قضايا هذه الفلسفة لا تلبث طويلا حتى تعبر بكل سذاجة عن روحها الأساسية : إن لدى أنصار هذه الفلسفة الفكرة السائدة على الدوام هى فكرة الأنا ، فى حين أن جميع الموجودات الأخرى وحتى البشرية منها يضمها بدون تمييز تصور سلبى واحد ؛ وهذا المجموع الغامض المكون من سائر الموجودات يكوِّن ما يعرف باللاأنا ؛ أما فكرة النحن فليس لها فى هذه الفلسفة أى موضع مباشر مميز »(١)

إن نقص المنهج الاستبطانى كمنهج علمى مستقل أدى إلى البحث عن منهج آخر يسمح لنا بالخروج من حصن الذات ويمهد لنا السبيل إلى معرفة الآخرين . وعند البحث عن هذا المنهج الجديد كان من الطبيعى أن يلقى السيكولوجى نظرة إلى العلوم الطبيعية التى خطت فى طريق التقدم خطوات واسعة وأن يسأل عن سر تقدمها. ويرجع هذا السر إلى أمرين : إن العلوم الطبيعية تدرس أشياء ، ثم أنها تستخدم فى دراستها منهج الملاحظة الخارجية والتجربة . فإذا أراد علم النفس أن يتقدم فما عليه إلا أن يحول موضوعه إلى شىء كسائر الأشياء الطبيعية وأن يستخدم المنهج التجريبى للكشف عن قوانين تصاغ فى صيغ رياضية كما هى الحال فى العلوم الطبيعية . أما هذا الشىء الذى سيصبح موضوع علم النفس التجريبى فهو السلوك ، أى مجموعة الحركات الصادرة عن الكائن الحى والتى يمكن مشاهدتها من الخارج ، كما يمكن مقارنتها بغيرها وفى نهاية الأمر قياسها وتعليلها بقوانين رياضية .

ذلك هو موقف علم النفس المعروف بعلم النفس الموضوعى والذى يشار إليه الآن بأنه السيكولوجيا فى صيغة الغائب Psychologie en troisième personne ومن أهم المذاهب السيكولوجية التى تصاغ عباراتها فى صيغة الغائب المدرسة السلوكية

---

(١) Comte : Discours sur l'Esprit Positif. Ed. Garnier, p. 187-188.

ومدرسة الجشطلت .

ومما لا شك فيه أن هذه المدارس أدت لعلم النفس أجل الخدمات وسمحت له بأن يخطو خطوات واسعة نحو الموضوعية التي تنشدها العلوم الطبيعية ، وحسبنا أن نذكر هنا ما وصلت إليها من نتائج هامة في دراسة سلوك الحيوان والطفل والبالغ بفضل تطبيق التجريب المعملي والاختبارات على مختلف أنواعها سواء في الحالات السوية أو الحالات المرضية .

ولكن إذا كانت المناهج الموضوعية تسمح لنا بتعليل السلوك ، كما تعلل الظواهر المادية ، وذلك برده إلى علله ، أو بعبارة أدق إلى الشروط التي تعينه في الماضي والحاضر ، غير أنها عجزت عن أن تجعلنا نفهم السلوك من حيث هو نشاط إنساني لأنها مصرة على أن تنظر إلى النشاط الإنساني كأنه شيء بين الأشياء الأخرى التي تحيط بنا .

* * *

ولتلخيص ما سبق نقول إن منهج الاستبطان لا يسمح لنا بالتعميم فضلا عن أن نتائجه محصورة في دائرة الشخص البالغ المتمدن ولا يمكن تطبيقها على الحيوان أو الطفل أو الإنسان البدائي .

أما المنهج الموضوعي فإنه يحقق لنا أولا الشرط الأساسي لقيام المنهج التجريبي وهو التمييز بين شخص الملاحظ وموضوع الملاحظة ، ثم يسمح بالتعميم بالاعتماد على المقارنة والدراسة الإحصائية لعدد كبير من الحالات . ولكن مناهضيه يأخذون عليه نظرته إلى سلوك الإنسان كأنه شيء بين الأشياء المادية الأخرى ، وإنه يجرد الإنسان من الحرية ومن قوة الخلق والقدرة على المبادأة المطلقة ؛ وأخيراً أن تعليله لسلوك الإنسان لا يسمح لنا أن نفهمه كما نفهم أنفسنا وأن الموضوعية في تفسير السلوك الإنساني لا يمكن أن تكون تامة ، بل تمتزج فيها الذاتية من حيث لا نشعر إذ أن في نهاية الأمر شعورنا بفاعليتنا هو النموذج الأول الذي على صورته نفسر كل شيء في الطبيعة .

وهنا تقع الأزمة في نمو علم النفس ، فتراجع من جهة وتقدم من جهة أخرى ؛ إسراف في الذاتية ثم رد فعل عنيف يؤدي إلى إسراف في الموضوعية . وإذا كان رأينا في عملية التكامل ينطبق أيضاً على نمو العلوم يجب علينا أن نبحث عما إذا كان علم النفس قد وصل إلى التغلب على هذا التناقض الذي يعانيه ونجح في أن يخطو خطوة

جديدة إلى الأمام تؤلف بين القديم والجديد فى صورة متكاملة أكثر ثراء وشمولا من الصور السابقة .

نعتقد أن علم النفس فى سبيله إلى الدخول فى دور التكامل بطريقة عملية مجدية بعد أن استشعر هذا الاتجاه الجديد منذ عشر سنوات .

وهناك عامل هام ساعد على حل الأزمة التى كان يعانيها علم النفس عندما كانت عشرات المدارس تتنازعه وهذا العامل هو تغيير الجو المعنوى الذى يحيط بالإنسانية منذ حوالى ربع قرن وهو جو من القلق والخوف وعدم الطمأنينة وفقد الثقة فى مصير الإنسانية وفى صحة عزمها على التغلب على عوامل الانتحار والتدمير الذاتى التى تفتعل فى جوانبها ؛ وبعبارة وجيزة هو شعور الإنسان العصرى بأن الحياة مأساة وبأن هذه المأساة تتجدد فى كل لحظة وبأن الحاضر لا يمكن تفسيره كله فى ضوء الماضى وبأن فهمنا للحاضر لا يلبث أن ينبثق حتى تغمره من جديد سحابة من الغموض والقلق .

ومن الغريب أن الفيزياء الحديثة التى تحاول إماطة اللثام عن أسرار الذرة تعانى الأزمة نفسها التى يعانيها علم النفس كأن ظل الباحث يغير باستمرار الوقائع التى يشاهدها وكأن الباحث أسير ذاتيته إلى حد ما مهما بذل من جهد للوصول إلى الموضوعية المطلقة .

ومما لا شك فيه أن ما قلناه عن علم النفس ينطبق أيضاً على علم التاريخ وعلم الاجتماع ؛ فهما أيضاً أخذا يتساءلان : هل يمكن عد الحوادث التاريخية والظواهر الاجتماعية مجرد أشياء أم هى أيضاً تنبض بالحرية والخلق ولا بد من ضم القلب إلى العقل ، أى من ضم الوجدان إلى الفكر لكى يتسنى لنا الفهم العميق والمشاركة الصادقة !

* * *

يستخدم الاستبطان صيغة المتكلم ويستخدم المنهج الموضوعى صيغة الغائب وهما موقفان متعارضان ولكن لا بد بحكم عملية النمو والتقدم أن يتمخض هذا التعارض عن منهج جديد يسمح بالخروج من حصن الأنا للالتقاء بالأنت لتكوين نواة النحن . وهذا الأنت فى إمكانى أن أخاطبه وأن أتلقى منه الرد وأن أرى فيه صورتى قبل أن أسقط عليه ما أعرفه عن نفسى عن طريق الاستبطان حتى أنه يمكن القول بأن أحسن وسيلة لكى يعرف الإنسان نفسه أن يحاول أولا معرفة الآخر . ولكن ليس

الآخر شيئاً بل هو شعور وفكر وحرية .

ويبدو لى شعور الآخر كموضوع خارجى حال فى العالم الخارجى بواسطة الجسم ومجسم فى ضروب نشاطه المختلفة . السوية منها والشاذة ، وعندما أشاهد مظاهر النشاط الخارجى فإنى لا أقف عند الحركات الخارجية ، بل أقصد من ورائها شعور الآخر وفكره وحريته ، أى شخصيته فى مميزاتها الخاصة التى تجعل من الشخصية حدثاً لا مثيل له .

وعلى ذلك فإنى أسلم بادئ ذى بدء بوجود ضرب أصيل من الإدراك ينصب مباشرة على الآخر من حيث هو شخص يمتاز بالفكر والحرية (١) ذلك هو المبدأ الذى يقوم عليه هذا النوع الجديد من الدراسات السيكولوجية المعروفة بعلم النفس فى صيغة المخاطب Psychologie en deuxième personne .

هذا الموقف الجديد يعود بعلم النفس إلى الفلسفة ولكنها فلسفة تختلف كل الاختلاف عن الفلسفة التى كانت تحتضن المنهج الاستبطانى . فهى ليست فلسفة مجردة غارقة فى معرفة كنه الماهيات ، بل فلسفة واقعية شاعرة بقيود الزمان والمكان ، تحاول فهم النشاط كما يحياه الشخص فى بيئته وفى كل لحظة راهنة . وتعرف هذه الفلسفة الجديدة بالفينومينولوجيا Phénoménolgie أى علم الظواهر ولكن لا وجود مطلقاً لحقائق أخرى خلف هذه الظواهر بل الحقائق الوحيدة هى الظواهر عينها كما أدركها .

ولكن ليست الفينومينولوجيا مذهباً موحداً بل هناك تيارات مختلفة متعارضة أهمها الفينومينولوجيا التى تبحث فى الماهيات وهى ضرب من علم النفس الذى يتخذ صيغة المتكلم ، والفينومينولوجيا التى تبحث فى الوجود ومنها تفرع علم النفس الوجودى الذى يستخدم صيغة المخاطب ، ويعتمد علم النفس الوجودى على الوصف دون التعليل للوصول إلى فهم الآخرين وأول ممثل لهذه المدرسة الجديدة هو الطبيب الفيلسوف الألمانى كارل ياسبرس Karl Jaspers الذى عرض نظريته فى كتابه : « علم النفس المرضى العام » Psychopathologie Générale (١)

---

(١) ليس المقصود هنا المنهج الإسقاطى الذى به أحكم على طبيعة الحالة الشعورية التى يعانيها الآخر بالاستناد إلى خبرتى الذاتية وذلك عن طريق المماثلة أو المشاركة الوجدانية .

(٢) نشرت الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب سنة ١٩٣٣ عند (Alcan) فى باريس عن الطبعة الألمانية الثانية الصادرة فى عام ١٩١٩ . وللوقوف على صلة علم النفس بالفينومينولوجيا راجع الكتب الآتية :

* * *

هل يمكن القول بأن علم النفس الوجودى يحل الإشكال الناتج عن تعارض المنهج الذاتى والمنهج الموضوعى وأنه يحقق التأليف بين المنهجين فى صورة جديدة بأنه يعيد إلى الأنا فاعليته فى فهم الآخر ويحول الآخر إلى نموذج تنبعث من خلاله صورة الأنا حتى يزداد الأنا فهماً لنفسه بعد أن فهم غيره ؟

قد يكون الأمر كذلك ولكن علم النفس الوجودى يقف عند حد الوصف دون التعليل خوفاً من أن يحول التعليل الإنسان إلى شىء جامد . غير أن العلم – وفى ذلك فهو مدفوع بطبيعة العقل – يرمى دائماً إلى كشف القوانين والربط بين الوظائف حتى يكمل التفسير الذى بدونه لا يمكن الانتقال من النظرية إلى التطبيق .

يبدو إذن أن الإشكال . على الرغم من الدراسات الخصبة المبتكرة التى تقدمها لنا المدرسة الوجودية . لا يزال قائماً وعلينا أن نبحث عن حل أعمق وأشمل .

إننا لم نذكر بعد التحليل النفسى ولنا أن نتساءل ما هو موقفه من هذه السيكولوجيات الثلاث ؟ هل تصاغ نتائجه فى صيغة المتكلم أم الغائب أم المخاطب؟ ليس من السهل الإجابة مباشرة على هذا السؤال إذ أن التحليل النفسى بدأ منذ أن نشر فرويد وبروير دراستهما فى الهستيريا عام ١٨٩٥ ، ثم نما وتطور وتشعب خلال نصف قرن وكأنه لا يزال بعد فى طور التكوين يزداد حيوية وتدعيما مع تقدم البحوث فى جميع ميادين علم النفس من ذاتية وموضوعية ووجودية .

لا شك فى أن التحليل النفسى لا يدخل فى نطاق سيكولوجية المتكلم لأن الموقف التحليلى يضم دائماً اثنين : المريض والمحلل . ولكن ألا يقوم الاستبطان بدور هام فى أثناء التحليل ؟

هل هو سيكولوجيا فى صيغة المخاطب ؟ يبدو ذلك لأول وهلة لأن على المحلل أن يفهم المريض بطرق كثيراً ما تكون خفية كأن يكون هناك تخاطب وهمس بين لاشعور المحلل ولاشعور المريض . ثم يجب أن نذكر اهتمام المحللين بظاهرة

---

P. Foulquié & G. Deledalle : La Psychologie Contemporaine P.U.F. Paris 1951.
من ص ٢٥١ إلى ٣١١

S. Daval & B. Guillemain : Psychologie, Tome I. P.U.F. Paris 1951.
من ص ٢٩ إلى ٥١

S. Daval & B. Guillemain : Philosophie des Sciences. P.U.F. Paris 1950.
من ص ٤٧٥ إلى ٤٨١

القلق والحصر ودراستهم العميقة لظاهرة الصراع النفسى. ولكن التحليل النفسى لا يقف كالمدرسة الوجودية عند حد الوصف بل يحاول التحليل العميق ويطالب باسم العلم بتطبيق مبدأ الحتمية على الظواهر النفسية.

هل هو إذن سيكولوجيا فى صيغة الغائب؟ هذا ما يؤكده المحلل النفسى الفرنسى لاجاش Lagache ، أستاذ علم النفس بجامعة باريس ، فهو يقول إن المحلل النفسى فى نهاية الأمر يتخذ موقف الملاحظ الخارجى الذى يشاهد سلوك المريض مشاهدة موضوعية معتمداً على دلائل السلوك الخارجية من لغة وصمت وانفعال وتحويل وسائر الاستجابات التى تصدر عن المريض فى مختلف المواقف التى يقفها من نفسه ومن الآخرين[١] .

سنجيب عن هذه الأسئلة فى المقال القادم وسنحاول أن نبين إلى أى حد يمكن عد منهج التحليل النفسى منهجاً تكاملياً .

يوسف مراد

(١) Daniel Lagache : De la Psychanalyse à l'Analyse de la conduite. Revue Française de Psychanalyse. Janvier-Mars 1949. P. 97-118.